

## الفصل الرابع:

### الإنتاجية الإيمانية

إن مقاييس الإنتاجية المتعارف عليها هي المخرجات التي يتم الحصول عليها من مجموعة مدخلات، علماً بأن القياس يعتبر عنصراً مهماً في دورة التحسين المستمر التي تعتبر بدورها الرافد الحقيقي لـ (أ.ج.ش).

ومما يؤكد اهتمام الإسلام بالإنتاجية المادية، أنه حُصِّ على الاجتهاد في العمل للخروج بأفضل النتائج.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ {الملك : ١٥}.

والتعبير بمناكب الأرض فيه حثٌّ على بلوغ أفضل مراتب العمل وإن كانت مجاهدة أو شاقة، والاجتهاد في تذليل كافة العقبات لتحقيق ذلك.

والإنتاج في الإسلام ليس متوقفاً على العمل المادي فحسب، بل رتب الله سبحانه وتعالى إنتاجاً مادياً على أعمال إيمانية: فمثلاً جعل الاستغفار سبباً من أسباب زيادة الرزق والمال.

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ {نوح : ١٠ - ١٢}.

وجعل الله تعالى التقوى سبباً للبركة في الرزق ولفتح خزائن السموات والأرض بالخير.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ {الأعراف: ٩٦}.

وقال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ {إبراهيم: ٧}.

وفي مقابل ذلك، جعل المعاصي سبباً في محق الرزق أو تضييقه كما في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ {النحل: ١١٢}.

وقال ﷺ: "إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه".

ويتضح الأمران بجلاء في قصة سبأ في قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ {سبأ: ١٥-١٧}.

وهذا المنهج الإسلامي ينطلق من حقيقة عقدية، وهي أن الله تعالى ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر، والإنسان المستغفر والطائع تتحقق له الطمأنينة.

قال تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ {الرعد: ٢٨}.

ولا شك أن الإنسان المطمئن يكون أكثر إنتاجاً من غيره.

أما الإنتاجية الإيمانية فقد يصعب قياسها؛ لأنها ذلك الثواب وتلك الحسنات التي ينعم الله بها على المؤمن نظير أعماله في كل ساعة (أو يوم، أو شهر، أو....)، وإن هذه الحسنات تزيد بقدر حسن النوايا والإخلاص في العمل، وتنقص بقدر سوء النوايا والتقصير في العمل.

قال رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...".

على الرغم من أن ذلك من علم الله إلا أن المؤمن يستشعر معنى الإخلاص، ومن المؤشرات على ذلك أيضاً شهادة المجتمع المحيط بالمؤمن على أعماله.

قال رسول الله ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد؛ فاشهدوا له بالإيمان".

وفي الحديث: مرّ على النبي ﷺ بجنائزة فأتوا عليها خيراً فقال: "وجبت" ثم مرّ عليه بجنائزة أخرى فأتوا عليها شراً فقال: "وجبت" فقالوا: ما وجبت؟ فقال: "الأول أثنيتم عليه خيراً؛ فوجبت له الجنة، والثاني أثنيتم عليه شراً؛ فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض".

ومن الحكم المشهورة: (ألسنة الخلق أقلام الحق).

إن المؤمن في طلب دائم للإنتاجية الإيمانية، وإن عدم علمه بحقيقة قيمتها يكون دافعاً مستمراً له للعمل على زيادتها بالمزيد من الإحسان، ليقينه أنها هي التي ستنفعه في يوم القيامة ليدخل بها الجنة بعد رضا الله عنه، بل ليرتقي في درجاتها العلى، نسأل الله الفردوس الأعلى، وما أعظم نعمة الاستغفار والتوبة التي يستطيع بها المؤمن أن يمحو ذنوبه - بإذن الله - فتزداد إنتاجيته الإيمانية.

إن هذه الإنتاجية في جانب المؤمن لا تنفصل عن الإنتاجية والجودة كمقاييس مادية على المنتجات والخدمات، بل هي مكملتها ودافع مستمر لزيادتها وتحسينها، ولا يكفي أن يكون الإنسان منتجاً فقط، بل الأهم من ذلك هو الاستمرار في زيادة الإنتاجية، ولذلك فإن المجتمع المسلم الذي تزداد فيه الإنتاجية الإيمانية مع الإنتاجية المادية؛ يحمل في تكوينه الصلب مقومات الاستمرار في التطور والتحسين على مر العصور، وإن التاريخ خير شاهد على ذلك.

فقد قامت دول وارتقت ثم انحسرت واندحرت مثل الإمبراطورية الرومانية، وبريطانيا العظمى، وألمانيا، ثم ظهرت اليوم أمريكا واليابان وغيرها، ولكن الأمة الإسلامية استمرت أكثر من عشرة قرون في تذبذب بين الرقي والانحدار من غير أن تندحر، ونسأل الله أن تقوم مرة أخرى لتقود العالم وتملاؤه عدلاً وخيراً ورخاءً ونعيماً، وخاصة إذا تحلت بالإنتاجية بشقيها الإيماني (وهو المهم) وكذلك المادي.

### ومضة

الإنتاجية الإيمانية هي الثواب والحسنات  
التي ينعم بها الله على عبده في اليوم  
(والساعة والدقيقة) ولا شك أنها دافع  
قوي لزيادة الإنتاجية المادية